

...الإرهاب لغةً وثقافةً وسلاحاً

د. عصام نعمان

ليس للإرهاب تعريف رسمي موحد . كلّ يعرّفه على هواه وبما يخدم أغراضه . غير ان للإرهاب لغة واحدة ، سائدة هي العنف بـ "اللهجات" متعددة . أسوأ اللهجات العنف الاعمى . بمفرداته جمیعاً .

العنف لغة شائعة بين الدول والتنظيمات والافراد . عندما تنطق دولة بالعنف فهو "إرهاب الدولة". بعض الدول ، كـ "إسرائيل" ، ينطق بالعنف عليناً وبالهادفة . بعضها الآخر ، كأمريكا ، ينطق به مباشرةً بطائرات من دون طيار، او مداورةً بأجهزة استخبارات وتنظيمات ارهابية محترفة تؤجر خدماتها مقابل اجر مادي او سياسي .

بعض التنظيمات "الدينية" ليس مجرد أداة او مؤجر خدمات . انه كيان سياسي له ايديولوجيا واهداف واجهزة ونهج في العمل . الامر نفسه ينطبق على التنظيمات الإرهابية "العلمانية" .

صحيح ان بعضاً من التنظيمات الدينية (والعلمانية) الإرهابية يؤجر خدماته لدول وحكومات واحزاب وشركات وافراد ، لكنه يفعل ذلك في اطار إلقاء أغراضه ، او عدم تعارضها ، مع اغراض الجهة المستأجرة .

لعل تنظيمي "الدولة الإسلامية في العراق والشام - داعش" و"جبهة النصرة" ابرز تنظيمات العنف الاعمى في حاضر العرب . كلاهما ينتمي فكريأ ، والى حدّ ما تنظيمياً ، الى "القاعدة" . كلاهما يؤجر خدماته في اطار إلقاء الاغراض بين المؤجر والمستأجر .

تلاقت الاغراض ، مرحلياً وجزئياً ، بين "داعش" و"النصرة" من جهة وامريكا من جهة اخرى في ساحتى العراق وسوريا . غير ان إفراط كلا التنظيمين في استخدام العنف الاعمى لأغراضهما الخاصة ادى الى التفريط بأغراض اميركا وحلفائها في الساحتين العراقية والسورية ما حمل واشنطن ، بنصيحة من لندن ، على إلغاء عقد ايجار الخدمات او تعليقه في الاقل . اميركا اوقفت ، على ما يبدو ، عملية تمويلهما وتسلیحهما عبر تركيا . بريطانيا إتخذت قراراً صارماً : من يشارك من مواطنها في مشهدية العنف الاعمى (الإرهاب) في سوريا والعراق يخسر جنسيته .

ربما للرداع المالي والتسلبي ، كما للرداع الأخلاقي والقانوني ، تأثير في قيادي تنظيمات العنف الاعمى الاقل تعصباً ويأساً ، لكن لا تأثير مطلقاً لذينك الرادعين في الاعضاء المعبيين والمغلقين والمصممين على الشهادة (الإنتشار) لمرضاة رب العالمين او ما يظنون انه يصب في هذا الإتجاه.

ييد ان لتنظيمات العنف الاعمى نتاجاً آخر غير القتل والتدمير. انه الأسلامة بمعنى إكراه غير المسلمين ، ولا سيما المسيحيين ، على اعتناق الإسلام تحت طائلة القتل او... التهجير. هذا ما حدث للمسيحيين السوريين في منطقة القلمون ، بلدة معلولا التاريخية تحديداً ، وحتى للمسلمين الدروز في منطقة جبل السماق (18 قرية) بمحافظة ادلب.

الدروز مسلمون ديناً وعلى المذهب السنّي الحنفي في احوالهم الشخصية ، إلتزم معظمهم الحياد مذ ان دلعت الحرب في سوريا بعد "الربيع العربي" المزعوم . المسيحيون هم ، تصنيفاً ، من أهل الكتاب وينطبق عليهم ، كما يشملهم ، مدلول الآية القرآنية الآمرة : "لا إكراه في الدين". مع ذلك تعرض الدروز ، كما المسيحيون، إلى عقوبتي التكفير والتهجير.

آثار التكفير والتهجير مقلقة ديمغرافيًّا وجغرافيًّا في العراق وسوريا ومصر والى حدّ ما في لبنان . فقد كان في العراق عشية حرب اميركا العدوانية عليه العام 2003 نحو مليون ونصف المليون مسيحي ، لم يبق منهم سوى 250 الفاً ، اي ان نحو مليون وسبعمائة الف قتلوا او هُجروا او اكرهوا على اعتناق الإسلام .

كان في سوريا عشية اندلاع "ثورة" الربيع العربي المزعوم نحو مليوني مسيحي ، بقي منهم اليوم نحو 500 الف ، بينما جرى تهجير او أسلامة الآخرين .

كان في مصر عشية ثورة يناير 2011 نحو عشرة ملايين مسيحي قبطي، هاجر او هُجّر منهم ، ولا سيما في ظل حكم الاخوان المسلمين ، نحو مليون ومية وخمسة وعشرين الفاً ، وأرغم عدد منهم على اعتناق الإسلام .

في لبنان لم يتعرض المسيحيون الى عمليات تكفير واضطهاد . لكنهم عانوا، شأن المسلمين ، حروباً داخلية واضطرابات امنية

متواصلة الامر الذي حمل الكثير من اهل البلاد على الهجرة طلباً للامن والامان والرزق.

لئن دعت واشنطن قادة دول المنطقة الى وقف تمويل "داعش" و"النصرة" ووقف تدفق المقاتلين الاجانب الى سوريا ، فإن الوجه الآخر للمشكلة لم يحظ بعد بأي معالجة . فالإرهاب ليس لغةً وسلاحاً فحسب بل هو ثقافة ايضاً . ثقافة الإرهاب، بما فيها ثقافة التكفير وعدم الاعتراف بالآخر المختلف ، قائمة ومنتشرة وناشطة على مستوى عالم العرب ، وما لم تجر مغالبتها بثقافة اخرى انسانية وفاعلة فإن نهج العنف الاعمى والتطرف والتهجير سيبقى سائداً.

ما العمل ؟

الدين عامل فاعل في الحياة عموماً وفي السياسة خصوصاً. لعله الوسيلة الرئيسة التي استعملها اهل السلطان في الداخل من اجل الضبط والربط وتدويم ثقافة الطاعة والولاء . كما استعملتها قوى الاستعمار والإحتلال والهيمنة الوافدة من الخارج للتفريق بين ابناء الشعب الواحد في الداخل من اجل السيطرة على الموارد الطبيعية واستغلالها ولترسيخ حكم الوكلاء والخلفاء .

آن الاوان لقيام اعلى المراجع في الاديان جمیعاً بعقد مؤتمر علمي - سیاسي لمعالجة ثقافة التكفير والترهيب في العالم اجمع ، ولا سيما في عالم العرب. لعل شيخ الازهر هو المرجع الديني الاكثر نفوذاً واستقلالاً وقبولاً لأخذ زمام المبادرة من اجل الاتصال والتواصل مع سائر المراجع الدينية والقيادات العلمانية بغية عقد مؤتمر جامع وجدي على مستوى عالم العرب لبحث مسألة ثقافة التكفير والترهيب، وإيجاد المناهج والآليات والوسائل الالزامية لمعالجتها وازالة آثارها ، كما لوضع اسس موضوعية لتوليف ثقافة انسانية مقاومة قوامها الحرية والتحرر والتسامح والرحمة والعدالة والمساواة امام القانون وفي تكافؤ الفرص.

ثمة حاجة استراتيجية لإشعار الجماعات الظلامية وناشري ثقافة الجاهلية المعاصرة والعنصرية بأن القوى الحية في عالمنا استيقظت وواعت خطورة الازمة المستفحلة، وانها في صدد

إعداد هجوم حضاري مضاد قوامه ثقافة انسانية مقاومة لها دور
وقائي وجراحي في آن.